السيد عبد الله شبر

الأخلاق

دققه
جواد شبر

www.ketab.ir

www.ketab.ir

منشورات ذوي القربى

اسم الكتاب :	الاخلاق
المؤلف :	السيد عبدالله الشبر
الناشر :	ذوي القربى
الطبعة :	الأولى
تاريخ الطبع :	١٤٢٧
الكمية :	١٥٠٠
المطبعة :	صدر
شماره مجوز كتاب :	ف / ٢٦ / ٢٤٨٣٠ ـ ٤ / ٣ / ٨٤
شابك :	٤ ـ ٠٠٧ ـ ٥١٨ ـ ٩٦٤

مركز پخش : قم ـ پاساژ قدس ـ طبقه اول ـ پ ٥٩ ـ تلفن: ٧٧٤٤٦٦٣ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في حياة المؤلف[1]

الحمد لله رب العالمين، الذي رفع قدر العلماء إلى أعلى عليين، وفضل مدادهم على دم المستشهدين، وجعلهم نواب الأئمة الطاهرين، وخفض من شك في فضلهم إلى تحت الثرى وجعل من عظم قدرهم معهم في الرفيق الأعلى والصلاة والسلام على رسوله ونبيه وحبيبه وصفيه وخليله محمد خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين، وعلى ابن عمه ووصيه ووارث علمه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وعلى قرة عيني الرسول فاطمة الزهراء البتول وعلى سبطيهما الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وعلى الأئمة الطاهرين والحجج الميامين إلى يوم الدين.

وبعد فإن أحق ما أودع في الطرس وتوجهت إليه النفوس من فن

---

(١) هذه رسالة ألّفها السيد محمد بن مال الله بن معصوم القطيفي النجفي المتوفي بكربلاء سنة ١٢٧١ في ترجمة أستاذه السيد عبد الله شبر قدس الله روحيهما. وكان السيد محمد معصوم من أعاظم علماء عصره وعباقرة دهره جمع بين العلم والأدب، كتب فأفاد ونظم فأجاد وهذه الرسالة إحدى نفثات يراعه البليغ تغمده الله برحماته الواسعة.

اعتمدنا بنقل هذه الرسالة على مؤلّف العلامة الجليل والبحاثة الشهير شيخنا الشيخ آغا بزرك الطهراني سلّمه الله، المخطوط بخطه والمسمى (إجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة).

www.ketab.ir

التواريخ المحفوظة والسير الملحوظة ، تواريخ العلماء الأعلام ، إذ عليهم مدار العالم من مبدأ نشوء آدم إلى يوم الحشر والحساب ، وهم الهداة إلى طريق الحق والصواب والأدلة على ما ينجي من العقاب ، فكان الواجب على الخلق حفظ تواريخهم وضبط مواليدهم ووفياتهم ونشر آدابهم وسيرتهم ليكون ذلك تذكرة على ممر الأعصار وباعثاً للوقوف على أخبارهم وذريعة للترحم عليهم في إناء الليل والنهار.

وكان أحق من نظم في عقد هذا الشأن ، ومن نوّه بذكره من أفاضل هذا الزمان ، بيان أحوال علم العلم الذي لا تباريه الأعلام والبالغ في ما حواه من الفضائل والفواضل إلى أعلى مقام الإمام الذي تصدر محراب العلم والإمامة ، والهمام الذي تسنّم صهوة جموح الفضل فملك زمامه الرافع للعلوم أرفع راية والجامع بين الرواية والدراية ، من تشنفت المسامع بفرائد كلامه ، وابتهجت النواظر بما تدبجه أنامل أقلامه ، سيدنا المقتدى بآثاره ، المهتدى بأنواره ، إمام محراب العلوم البديعة ، وخطيب منبر البلاغة التي أضحت له مذعنة ومطيعة ، قمر سماء المجد الأمثل ، وفلك شمس فخر كل ذي مقام جليل المحيطة يد بيانه حواجز الإشكال عن وجوه المعاني ، المعترف بمنطقه الفصيح القاصي من هذه الأمة والداني ، عمدة المحققين قديماً وحديثاً ، وملاذ المدققين تفسيراً وحديثاً ، بحر الفضائل الذي ساغ وعذب لكل وارد ، وكعبة المجد التي يطوي القفار إليها كل قاصد ، السيد الطاهر الأوحد ، حميد السجايا ومن اشتهرت فضائله كاشتهار الشمس بين البرايا ، حليف المعاني والمكارم ، ومن طوق الأجياد بإحسانه طوق الحمائم ، الحبر الذي قصرت عن استيفاء فضائله الأرقام ، والنائب عن الأئمة الطاهرين الكرام، الفاضل الذي هو مرجع الفضلاء في التحقيق ، الفاصل بين الأدلة إذا أعوز الترجيح والتوفيق ، جامع شمل العلوم العقلية والنقلية ، مقتطف ثمرات المسائل الفرعية من الأصلية ، سيدنا الحليم الأواه ، مولانا الحاج سيد عبد الله ، سلالة العالم المحقق والماهر المدقق مستنبط الفروع من الأصول ، ومرجع الدليل إلى المدلول ، علامة الأنام

وحجة الإسلام ، محيي الليل بالعبادة ، ومن استوجب من الله الحسنى وزيادة ، قدوة الفضلاء وبقية العرفاء ، العالم العامل والنحرير الفاضل ، المدقق التقي النقي ، الجليل النبيل ، الورع الزاهد العابد ، والناسك الراكع الساجد ، رب الفضائل والمحامد والمآثر ، حليف النهى والمكارم والمفاخر شمس الخلق وبدر الآفاق ، الذي لم يعتر طبعه الرقيق المحاق ، المدبر عن أهل الدنيا الدنية ، والمقبل إلى كل عمل يرفع القدر عند رب البرية ، المبجل لدى العلماء الأعلام ، والمشهور بالفضائل لدى الخاص والعام ، والكريم السخي الذي جود كفه باري السحاب ، والمحبوب عند سائر أولي الألباب ، المبرز على كل أهل الفضل في زمانه ، ومجتهد عصره وفريد أوانه ، المتواضع للصغير والكبير والمعظم لدى الجليل والحقير ، من عبقت منه رائحة النبوة والإمامة ، وإنه فرع من دوحة من ظللته الغمامة ، المستجاب في الاستسقاءات وأكرم مبتهل عند رب الأرضين والسموات ، أجلُّ كافة السادات والأشراف ومن لا يستطاع ذكر مزاياه وما حاز من المكرمات والأوصاف.

يقول الأقل المحب المعلوم بالسيد محمد خلف المرحوم السيد معصوم ، محرر هذه الكلمات . هو أنه قد شاهدت له فضيلة تفوق الفضائل في سنة مجدبة من السنين أمر الوالي سعيد باشا جميع أهل بغداد أن يصوموا ثلاثة أيام ويخرجوا للاستسقاء وطلب المطر ، ففعلوا ذلك وخرجوا وكان بعض السحاب في الجو ، فلما دعوا انجلى السحاب وأشمست وحجبوا ورجعوا في خيبة وخجل، وأمر السيد المؤمى إليه قدس الله سره ونور ضريحه أهل بلد الكاظمين بالصيام ثلاثة أيام فصاموا وخرج مع جميع أهل البلد إلى مسجد براثا حافي الأقدام مبتهلاً إلى الله تعالى ، ولم يركب دابة مع أنه عاجز عن المسير حيث إنه كان بديناً جسيماً حتى دخل المسجد المذكور ، وصلى ودعا وبكى ، فما أتم دعاءه حتى انسدَّ الفضاء بالسحاب وأرعدت وأبرقت وصبت مطراً سقت جميع أراضي العراق من نواحي بغداد وغيرها ، وهدمت كثيراً من دور أهل بغداد حتى خشي الناس الغرق ورجعنا بخدمته إلى البلاد ذاك سيدنا الأبهر السيد محمد رضا شبر الحسيني قدس

الله روحيهما وجعل في أعلى عليين مقاميهما بمحمد وآله الطاهرين.

وهذه رسالة في أحوال سيدنا ومولانا المتقدم ذكره السيد عبد الله فنقول، إنا رتبنا لذلك مقدمة وفصولاً وخاتمة.

أما المقدمة ففي وصفه بالكمال على الإطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق ووصف سماته وشكله وهيئته، وأما الفصول فهي خمسة:

الأول في تعداد مشايخه الذين قرأ عندهم واستفاد منهم وأجازوه، وفي تعداد مصنفاته وما أفاده من التحقيقات في المسائل الفائقة والمباحث الرائقة.

الثاني في تعداد تلامذته الذين قرأوا عليه وترددوا إليه، وأخذوا عنه واستفادوا منه، من العرب والعجم وغيرهم.

الثالث في ذكر أمره في الكتابة وما له فيها من الآيات ومحاسن المكرمات.

الرابع في تعداد أولاده ومن مات منهم ومن هو موجود الآن.

الخامس في ولادته ووفاته، ومدة أيام عمره.

وأما الخاتمة ففي بيان حال وفاته وما جرى على الخلق بعده وما قيل فيه من القصائد ومن قام بالأمر بعده.

المقدمة:

حاز قدس الله سره ونور ضريحه من خصال الكمال محاسنها ومآثرها، وتردى من أصنافها بأنواع مفاخرها، كانت له نفس عليّة وسجايا سنيّة، يفوح منها الفضل، كان شيخ الأمة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها، ملك من العلوم زماماً، وجعل العكوف عليها فرضاً والزاماً، أحيى رسمها وأعلى اسمها، لم يصرف لحظة من عمره إلا في اكتساب الفضيلة، ووزع أوقاته على ما يعود إليه نفعه في اليوم والليلة أما النهار ففي تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة، وأما الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل، هذا مع غاية اجتهاده إلى مولاه وقيامه بأوراد العبادة حتى كلّت

www.ketab.ir

قدماه ، وهو مع ذلك قائمٌ بأحوال المعيشة أحسن قيام على أحسن نظام ، وقضاء حوائج المحتاجين بأخلاق هي ألطف من ماء الغمام ، وأحلى من ورد جَنيٍّ هبَّ عليه نسيم السحر فتفتحت منه الأكمام . أما الفقه فقد كان قطب مداره وفلك شموسه وأقماره ، بل هو نجم سعوده في داره ، صنف فيه فأجاد وبلغ بذلك غاية المراد وناهيك بشرح المفاتيح الكبير الذي لم يسمح الزمان بمثله ولم ينسج ناسج على منواله . وأما الحديث فقد مدَّ فيه باعاً طويلاً ، وذلل صعاب معانيه تذليلاً ، وشمشع القول فيه وروعه ومدَّ في ميدان الإعجاز مطلقه وحتى صار نصب عينيه عياناً وجعل للسالكين في طرقه تبياناً ، وناهيك (بجامع الأحكام)[1] الذي حوى جميع أخبار أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام فإنه كتاب غريب على طرز عجيب ، يستغني به من كان عنده عن جميع كتب الأخبار وقد اشتهر اشتهاز الشمس في رائعة النهار ، ولكثرة ما صنف وألف سيدنا المذكور قد اشتهر في زماننا بالمجلسي الثاني وقد بلغ عطر الله مرقده ـ بسبب كثرة ممارسته الأخبار وشدة تعلقه بملاحظة الآثار ـ أن جماعة من وجوه أهل عصره وجملة من المرتقين إلى أعلى مراتب الفضل والكمال من أهل عصره وغير مصره كانوا يمتحنونه بقراءة

---

(١) جامع المعارف والأحكام في الأخبار جمع فيه أحاديث الأصوليين والفقه من الكتب الأربعة وغيرها، يشتمل على عشرين مجلداً وهو كدائرة معارف . وكل هذه المؤلفات مخطوطة وأكثرها بخط المؤلف قدس الله سره . ولم يطبع منها غير النزر اليسير ، وإليك أسماء المطبوع منها:

١ ـ الحق اليقين ، جزءان ، طبع بمطبعة العرفان ـ صيدا ، وطبع مرة ثانية في النجف الأشرف ، ومرات أخرى في كل من إيران ولبنان:

٢ ـ مصابيح الأنوار، جزءان طبع عدة مرات.

٣ ـ الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، طبع في طهران ـ إيران .

٤ ـ أحسن التقويم ، طبع مرات عديدة في مطابع الهند والعراق.

٥ ـ شرح زيارة الجامعة ، طبع في مطبعة الغري ـ النجف.

٦ ـ الأخلاق وهو الكتاب الذي بين يديك وقد سمحت به مكتبة سيدنا المفضال سماحة السيد عباس شبر سلّمه الله نجل سماحة العلامة الجليل السيد محمد حفيد المؤلف السيد عبد الله شبر تغمدهم الله برحماته الواسعة ، ومن الجدير بالذكر أن المكتبة (الشبرية) التي أسسها سماحة السيد عباس شبر تضم أكثر مؤلفات المترجم له.

www.ketab.ir

متن الرواية ويقطعون السند وهو ـ قدس سره ـ يسندها إلى قائلها من آل بيت محمد ﷺ وقد تكرر ذلك منه ومنهم حتى تجاوز حد الإحصاء وبلغ مبلغاً لا يأتي له انتهاء ، فكان ذلك يعظم على أولئك العلماء الأعلام حتى استقرت نفوسهم وأيقنوا بأن ذلك لا يكون إلا كرامة له أتحفه بها المليك العلام . ولقد نقل أنه ذكر عند المجلسي أن العلامة طاب ثراه عدّت تصانيفه من يوم ولادته إلى حين وفاته فكانت كل يوم كراساً مضافاً إلى ما كان عليه من مكارم الأخلاق وقضاء الحوائج ومراجعة الملوك وغير ذلك فقال العلامة المجلسي : ونحن بحمد الله لا تقصر تصانيفنا عن ذلك.

وسيدنا المذكور إذا تأملت في تصانيفه تراها لا تقصر عن ذلك مضافاً إلى عبادته ومخالطته للناس وقيامه بمطالبهم وفصل دعاويهم وعيادة مرضاهم وحضور جنائزهم ومراجعة الملوك لما يتعلق بمصالحهم ، فهو آية من آيات الله للعباد وهادٍ لهم إلى طريق الرشاد ، ولقد كان يجلس في المجلس العام ويصنف والناس جالسون عنده وهو يلاطفهم ويكلمهم كل بما يليق بحاله ، وتأتي في خلال ذلك الدعاوى فيفصلها ويقضي بها على وفق أوامر الله كل ذلك لا يشغله عن التصنيف والتأليف وهذا من الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة .

وأما علوم القرآن العزيز وتفاسيره من (الوسيط) و(الوجيز)[1] فقد حصل منهم على فوائدها وخاضها وعرف حقائقها ومجازها.

وأما علم المعقول فقد أتى فيه من الإبداع ما أراد وفاق فيه الفضلاء والأمجاد ، إن تكلم في علم الأوائل أبهج الأذهان والألباب وولج منها كل باب.

وأما علم الرجال فقد سبق فيه المصنفين في هذا المقال.

وأما الدعاء فقد كتب فيه المختصرات والمطولات .

---

(١) يشير إلى مؤلفاته في التفسير وهي (صفوة التفاسير) و(الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين).

www.ketab.ir

وأما اللغة فقد كتب فيها فأحسن وحقق فأتقن ، وله فيها عجيبة في فنها غريبة.

وأما « الأخلاق» فقد صنف فيه ما ينبغي أن يكتب على الأحداق لا في بطون الأوراق.

وأما العرفان فقد كان له فيه شأن وأي شأن، ولقد اشتمل على فضيلة جميلة ومنقبة جليلة تفرد بها عن أبناء جنسه وحباه الله بها تزكية لنفسه ، وهي أن من المعلوم البين أن العلماء لم يقدروا على نشر العلم من طريق التصنيف والترصيف حتى يتفق لهم من يقوم بجميع المهمات وبذل النفقات إما من ذي سلطان يسخره الله لهم أو ممن يهوى الخير والإحسان . وكان سيدنا المذكور قاطع النظر من جميع البشر ليس له طمع في ما عندهم ، ومع ذلك كان في سعة الحال قد بلغ بها النهاية وتجاوز الغاية ، وبرزت له تصانيف لا تحصى.

ولقد اجتمع مع بعض العلماء ، وكان السيد قد فرغ من قراءة الفاتحة للشيخ المفيد وشيخه ابن قولويه ، فقال له ذلك العالم : يا سيدنا إني أريد أن أسألك عن مسألتين : عن أمر المعيشة ، وسرعة التصنيف ، فأجابه السيد بأن أمر المعيشة موكول إلى الله عز وجل ، وأما سرعة التصنيف فإني قد رأيت الإمام سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام في عالم الرؤيا فقال لي : أكتب وصنف فإنه لا يجف قلمك حتى تموت . وهذه رؤيا صحيحة لأنه ورد عنهم عليهم السلام: إنه من رآنا فقد رآنا فإن الشيطان لا يتمثل بنا. وورد عنهم عليهم السلام: إن الطيف جزء من سبعين جزء من النبوة . وكان الأمر كذلك فإنه رحمه الله إلى مرض موته كان يكتب ويصنف وأما شكله فقد كان ربعة من الرجال في القامة ، وكان بديناً سميناً ، ووجهه كأنه القمر بهي المنظر ، وشعر كريمته كأنه سواد السبج ، إذا نظر الناظر إلى وجهه وسمع عذوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقته ، وتسلّى عن كل شيء بمخاطبته ، وأيم الله إنه لفوق ما وصفت ولقد اشتمل على أكثر مما ذكرت.

الفصل الأول في تعداد مشايخه : فمن مشايخه رحمه الله والده العلامة قدوة الأفاضل ، ومن لنفسه دائماً في طاعة الله باذل ، السيد محمد رضا شبر ، المتقدم ذكره ، فقد قرأ عليه جملة من الزمان ، ومنهم العالم المتبحر المحقق المدقق الزاهد العابد صاحب التصانيف الرائقة والتحقيقات الفائقة ، اللسن المتقي إمام زمانه ووحيد أوانه سيدنا السيد محسن الأعرجي صاحب (الوسائل) وشرح الوافية ، والمحصول ، وغير ذلك فإنه قرأ عليه شطراً من العلوم، وغيرهما من العلماء والفضلاء، وقد أجازوه وأجازه أيضاً العالم الرباني والفرد الأوحد الذي ليس له ثانٍ، كعبة الفضلاء التي يطوي إليها القفار كل قاصد وبحر الجود الذي ساغ وعذب لكل وارد ، صاحب الآيات الظاهرة والبراهين الباهرة ، والتحقيقات التي لم يسبقه بها سابق ولم يلحقه بها لاحق ، خاتمة الفقهاء وبقية الفضلاء شيخنا الأكبر الشيخ جعفر النجفي ، وله تصانيف لم يكتب مثلها ، منها (كشف الغطاء) المشتمل على الفروع والتحقيقات ، وقد برز في جملة مجلدات ووصل إلى الحج ومنها شرح قواعد العلامة في التجارة ، وجملة من البيع مجلد ، ورسالة في الصلاة ورسالة في الصوم ، ورسالة في الزكاة ، ورسالة في الدعاء ، ورسالة في أحكام الجنائز ومنسك في الحج ، ورسالة في العقائد ، وحاشية على المفاتيح ، وغير ذلك من الحواشي وأجوبة المسائل طاب ثراه وجعل الجنة مثواه ، وكذلك أجازه العالم المتبحر جامع المعقول والمنقول ، ومستنبط الفروع من الأصول ، ومن أجاز سائر العلماء والمجتهدين ، الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي[1].

الفصل الثاني في تعداد تلامذته : فمنهم العالم العامل الفاضل الكامل جامع المعقول والمنقول مستنبط الفروع من الأصول التقي الألمعي الشيخ عبد النبي الكاظمي فإنه قرأ عليه زماناً طويلاً ، واستفاد منه واستجازه

---

(١) وذكر شيخنا البحاثة الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمه الله في تعليقة له على الرسالة المخطوطة بخطه ما نصه : وحكى سيدنا الحسن صدر الدين دام ظله أنه رأى إجازة الشيخ أسد الله صاحب (المقاييس) بخطه للسيد عبد الله شبر.

www.ketab.ir

فأجازه ، ولهذا الشيخ مصنفات منها كتاب في الرجال عديم النظير في جامعيته استقصى فيه أحوال الرجال وقضاياهم ، ومن جملة من ذكره سيدنا المذكور فقال : عبد الله ابن السيد محمد رضا شبر الحسيني قرأت عليهما واستفدت منهما وهما ثقتان عينان مجتهدان فقيهان فاضلان ورعان حازا الخصال الحميدة ، والسيد عبد الله سلمه الله حاز جميع العلوم الشرعية من التفسير والفقه والحديث واللغة والأصولين وغيرها فأكثر وأجاد وأفاد ، وانتشرت أكثر كتبه في الأقطار وملأت الأمصار ، ولم يوجد أحد قط مثله في سرعة التصنيف وجودة التأليف ولنذكر ما وقفت عليه من كتبه ، ثم ذكر ما ذكرناه من المصنفات ، إلى أن قال في آخرها: وهذا الكثير مع مواظبته على كثير من الطاعات كزيارة الأئمة والإخوان والنوافل وقضاء الحوائج ، والقضاء والفتوى إلى غير ذلك.

ومنهم العالم العامل والنحرير الكامل المولى الألمعي والعريف اللوذعي حجة الإسلام وكهف الأنام شيخنا الشيخ إسماعيل خلف العلامة المرحوم شيخنا ومولانا الشيخ أسد الله قدس الله روحيهما ، ولهذا الشيخ المذكور طاب ثراه كتابة في الأصول الفقهية اسمها (المنهاج) ورسالة في أصول الدين ورسالة في الفتوى ومنسك في الحج إلى غير ذلك من الحواشي وأجوبة المسائل ، توفي قدس سره في سنة سبع وأربعين ومائتين وألف.

ومنهم العالم العامل ، والفاضل المدقق الكامل المتبحر الماهر التقي السيد علي العاملي فإنه لما هاجر من بلاد الجبل إلى العراق للاشتغال ورد إلى مشهد الكاظمين فقرأ جملة من العلوم على سيدنا المذكور ، وهذا السيد له بعض التصانيف منها شرح منظومة العالم المتبحر رئيس العلماء على الإطلاق ومن وقع على فضله الاتفاق بحر العلوم السيد محمد مهدي الطباطبائي طاب ثراه .

ومنهم العالم المحقق زبدة أهل التحقيق وقدوة أرباب التدقيق الأمين المؤتمن السيد حسين سلالة سيدنا المذكور فقد قرأ على أبيه جملة من

www.ketab.ir

الزمان وله بعض المصنفات منها تتمة شرح نهج البلاغة لوالده السيد المذكور ، وكان على غاية من الصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق والورع والعبادة .

ومنهم العالم العامل التقي النقي الشيخ محمد جعفر الدجيلي .

ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل الشيخ محمد رضا ابن المرحوم الشيخ زين العابدين ابن الشيخ بهاء الدين المدفون في مدارس من بلاد الهند ، فإنه قرأ عليه جملة من العلوم ولهذا الشيخ شرح على شرائع الإسلام ورسالة في الفتوى .

ومنهم العالم العامل صاحب النظر الدقيق التقي الألمعي مولانا الشيخ أحمد البلاغي .

ومنهم العالم الفاضل البارع الكامل الألمعي الشيخ محمد إسماعيل الخالصي .

ومنهم العالم الفقيه والوحيد النبيه أفضل الفقهاء أجلُّ نواب الأئمة وأشرف المتكلفين بأيتام الأمة ذو الصولة التي لا تجارى والعظمة التي لا تبارى شيخنا الشيخ مهدي خلف العلامة الأواه الشيخ أسد الله .

ومنهم العالم العامل والفقيه الفاضل ، أفضل أهل زمانه على الإطلاق التقي النقي والمولى الصفي ، شيخنا ومولانا الشيخ حسين محفوظ العاملي طاب ثراه . وغيرهم ممن لا يحضرني أسماؤهم .

الفصل الثالث في ذكر أمره في الكتابة : أما أمره في الكتابة فعجيب غريب ، نشأ من التوفيقات السبحانية والفيوضات الإلهية ، وذلك لكمال الرابطة بينه وبين الملك الجبار ولتمام مجاهدته لنفسه وتصفيتها ، فمذ علم الله تعالى منه ذلك وأنه أهل لذلك أفاض عليه من عطاياه الحسنة وأتاه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وكان طاب ثراه له سرعة يد في الكتابة إلى الغاية تجاوز في ذلك النهاية وتصانيفه مع حسنها وما فيها من التحقيقات الرائقة كان يكتب حتى إن الكتّاب المنقلة الذين هم يكتبون تحت يديه

www.ketab.ir

مصنفاته ومؤلفاته ليس لهم تلك السرعة ، ولقد رأينا له بعض الرسائل يقول فيها : إني شرعت بها عند العشاء وتمت عند نصف الليل.

الفصل الرابع في تعداد أولاده : وهم ستة ذكور ، منهم سيدنا ومولانا العالم العامل والفاضل الكامل ، جامع شتات المكارم ونتيجة الأجلاء الأعاظم المنزه عن كل شين ومين سيدنا ومولانا السيد حسين أطال الله بقاه وهو موجود الآن ، كان في لكنهور ثم ارتحل إلى كانپور لطيب هوائها وعذوبة مائها.

ومنهم العالم العامل والمحقق الفاضل الأمين المؤتمن سيدنا السيد حسن توفي طاب ثراه سنة الطاعون سنة ست وأربعين ومائتين وألف في مشهد الكاظمين ودفن مع جده وأبيه.

ومنهم السيد التقي النقي الأمجد الأسعد السيد محمد وقد توفي بمشهد الشهداء ودفن بالرواق الشريف سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف.

ومنهم السيد العالم الفاضل والمحقق الكامل جامع شتات الكمالات والمستمد من الأئمة الهداة الأبهر الأفخر السيد جعفر سلمه الله وهو موجود الآن في محروسة أصفهان وله شرح على شرائع الإسلام برز منه أربعة مجلدات مبسوطة.

ومنهم السيد موسى توفي سنة الطاعون الذي ذكر في ما سبق، كان في أوائل البلوغ.

ومنهم السيد محمد جواد توفي مع إخوته في سنة الطاعون المذكورة .

هذه خلاصة الكلام في أولاده أطال الله بقاء الموجودين وأفاض سحاب رحمته على الأموات.

الفصل الخامس في ولادته ووفاته : ولد طاب ثراه بالنجف الأشرف سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ثم ارتحل مع والده إلى المشهد الكاظمي وقطن بها إلى أن توفي بها سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف ودفن مع والده المبرور

بحجرة في رواق الإمامين فيكون عمره طاب ثراه أربعاً وخمسين سنة ، فانظر إلى صغر سنة وإلى تلامذته وتصانيفه وما ذكرناه من جمعه للكمالات تعلم أن ذلك لمزيد التوفيق والتأييد من الملك الحميد والمبدىء المعيد.

الخاتمة : توفي رحمه الله في مشهد الكاظمين في رجب في ليلة الخميس بعد مضي ست ساعات من الليل ، ولا يحضرني المقدار من الشهر ولما أصبح الصباح ماجت بلد الكاظمين بأسرها ووافى أهل بغداد من الجانبين وكثر الصراخ والبكاء والضجيج ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً وحمل على الأعناق إلى أن أدخل على الإمامين الهمامين موسى والجواد وصلى عليه ولده المؤتمن السيد حسن ودفن بالحجرة كما ذكرناه سابقاً ، وصار الناس يومئذٍ في وحشة عظيمة لما فاتهم من التشرف برؤياه والاكتحال بالنظر إلى محياه ، وقدم العلماء ولده الأمين المؤتمن السيد حسن المتقدم ذكره للصلاة في مسجده وصلوا خلفه وجلس رحمه الله وأقام له فاتحة عظيمة حضرها الناس جميعاً ، وأقام له في النجف الأشرف شيخ المشايخ الجلّة رئيس المذهب والملّة خاتمة المجتهدين وبقية المدققين وكعبة المحققين حافظ الشريعة المحمدية من شبهات الملحدين وعوارض المدلسين ، مربي المشتغلين والنائب عن الأئمة الطاهرين حجة الإسلام ومرجع الخاص والعام صاحب جواهر الكلام الذي لم يسمح الزمان بمثله ولم ينسج ناسج على منواله الأمين المؤتمن شيخنا ومولانا وأستاذنا جناب الشيخ محمد حسن سلمه الله من المحن مد الله ظلاله على العالمين كما حفظ به شريعة سيد المرسلين، وجلس للتعزية وورد عامة أهل النجف لقراءة الفاتحة ونظمت القصائد ومن جملة من رثاه السيد الطاهر الأوحد العالم الأمجد الأسعد الأشد السيد محمد نجل المرحوم المبرور الورع السيد معصوم الموسوي ومنها :

أروح وفي القلب مني شجىً ... وأغدو وفي القلب مني شجن
ولم يشجني فقد عيش الشباب ... وليل الصبا ولذيذ الوسن
ولا هاجني منزل بالحمى ... ولا ذكر غانية أو أغن

www.ketab.ir

ولكن شجتني صروف الزمان ... بأهل الرشاد ولات الزمن
بموسى الكلم بدت بالردى ... وكم فيه رُدَّ الردى والمحن
وثنت بمن لم يكن غيره ... إماماً لدينا يقيم السنن
فأخنى الزمان بنجل الرضا ... وألبسني فيه ثوب الحزن
وناعيه لما نعاه لنا ... أذاب الفؤاد وأضنى البدن
نعى العالم الهاشمي التقي ... نعى من له الفضل في كل فن
فلا غرو أن بكت المكرمات ... بدمع كمنهل غيث هتن
على من سرى ذكره في البلاد ... وشاع بذكر جميل حسن
فيا طود فضل هوى في الثرى ... وغيب في طيه إذ بطن
ويا راحلاً عن ديار الغرور ... فذكر جميلك فينا قطن

ثم أقيمت له في مشهد الإمام الحسين عليه السلام فاتحة عظيمة حضرها عامة أهالي كربلاء وكذلك في الحلة، وأما في إيران فقد أقيمت له الفواتح وناحت عليه النوائح وجرت عليه المدامع وأجج فقده الوجد بين الأضالع، وقام بالأمر ولده الأمين المؤتمن السيد حسن وجلس مكانه، وحضر عنده تلامذة السيد المرحوم وأتم بعض مصنفاته ونعم الخلف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

أرخ الخطيب الشهير الشيخ كاظم آل نوح وفاة السيد، كما أثبت ذلك في الجزء الثالث من ديوانه:

خطب دهى فراح عنا راحلاً ... ابن النبي الطاهر المطهر
وقد بكاه الدين حزناً أرخوا ... قد مات عبد الله بن شبر

١٢٤٢

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وفطره على صبغة الإيمان وعلّمه المعارف والبيان وأنعم عليه بالتفضل والإحسان وأرشده إلى اقتناء الفضائل والفواضل وحذره وأنذره عن ارتكاب الرذائل وفرض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد فيها وتشهيره واستحثه على تهذيبها من الرذائل بتخويفه وتحذيره وسهّل عليه تحسينها بتوفيقه وتيسير ما إمتن عليه بتسهيل الصعب منها وعسيرها والصلاة على النبي الكريم المنعوت في الفرقان الحكيم بأنك لعلى خلق عظيم وآله القربى الذين حث الله على حبّهم وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم وأولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم .

أما بعد فيقول العبد المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني رزقهما الله خير الدارين وأذاقهما حلاوة النشأتين وحباهما بما تقر به العين بمحمد وآله المصطفين لا يخفى على أولي البصائر النقّادة وذوي الأفهام الوقادة فضيلة علم الأخلاق وشرافته وجلالة قدره ورفعة شأنه ونباهته وأنه قوام الدين ونظام العالمين وطلبه فرض على جميع المسلمين وبه يحصل التأسي بسيد المرسلين وعترته الطاهرين فإن الأخلاق الحسنة هي المنجيات والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة المهلكات المبعدة من جوار رب العالمين والمنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وأمراض القلوب والنفوس

www.ketab.ir

المضرة بالأديان أعظم ضرراً من أمراض الأجساد والأبدان إذ تلك مفوتة لحياة الجسد وهذه تفوّت حياة الأبد ووجوب ذلك الطب كفائي وتعلم هذا الطب واجب عيني وهذه أوراق قليلة حائزة لفوائد جليلة قد اشتملت على زبدة هذا العلم الشريف وجمعت خلاصة هذا الطب المنيف من خصوص أمراض القلوب وتفصيل العلاجات وبيان الخصال المنجيات والرذائل المهلكات وقد رصعت بجواهر الآيات القرآنية ودرر الأحاديث المعصومية والبراهين اليقينية والدلائل العقلية والشواهد النقلية وهي وإن صدرت ممن هو من الذين يقولون ما لا يفعلون ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ولا يأتمرون وينهون عن المعاصي والآثام ولا ينتهون والمواعظ والنصائح إن صدرت عن مجرد اللسان لم تتجاوز الأسماع وزلت كما يزل الماء عن الصفا وإن صدرت عمّن اتصف بها أثرت في القلوب كالنقش في الحجر إلا أن العذر في الأول زيادة البصيرة في التقصير والقصور والمقت للنفس والذل والانكسار والاطلاع على بواطن العيوب وقبائح الأمور والعذر في الثاني أنها لم تصدر على لسان المذنب الجاني بل كان مصدرها من معادن الوحي والتنزيل وأرباب العلوم والحقائق والتأويل الذي هبط في بيوتهم جبرئيل وعلماء الدين المبين وقوام شريعة سيد المرسلين ونواب الأئمة الطاهرين وقد رتبتها على مقدمة وأبواب وفصول والتوفيق من الله مسؤول والتأييد منه مطلوب ومأمول والعذر عند كرام الناس مقبول وهو حسبي ونعم الوكيل.

www.ketab.ir

المقدمة

الفصل الأول : في مدح حسن الخلق وذم سيئه :

في الكافي عن الباقر عليه السلام قال : إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال : ما يوضع في ميزان أمرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

وعن الصادق عليه السلام قال : ما يتقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه.

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم.

وقال صلى الله عليه وآله : أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق ، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

وقال عليه السلام : إن الخلق الحسن ليميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد .

وقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح .

وقال عليه السلام : إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم .

وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى :

www.ketab.ir

﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ، ثم قال ﷺ : وهو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وقال ﷺ : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وجاء رجل إليه ﷺ من بين يديه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتاه من قبل يمينه فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتاه من قبل شماله فقال : ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتاه من ورائه فقال : ما الدين؟ فالتفت إليه فقال : أما تفقه ! هو أن لا تغضب .

وقيل : يا رسول الله ما الشوم ؟ فقال : سوء الخلق.

وسئل ﷺ : أي الأعمال أفضل فقال : حسن الخلق.

وقال ﷺ: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وقال ﷺ : أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة . قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه.

وقال الصادق عليه السلام: إن سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل.

وقال عليه السلام: من ساء خلقه عذّب نفسه.

وقال بعض العارفين : سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات.

وقال الله تعالى : ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ .

قال بعض العلماء : كان رسول الله ﷺ أحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، وأعف الناس ، لم تمس قط يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو لا تكون ذات رحم محرم منه ، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل ولم يجد من يعطيه فجاءه

www.ketab.ir

الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مصالح أهله ويقطع اللحم معهن.

وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد ، يجيب دعوة الحر والعبد ، ويقبل الهدية ولو كانت جرعة لبن ويكافىء عليها ، ولا يأكل الصدقة ، ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويمشي بين أعدائه وحده بلا حارس . أشد الناس تواضعاً ، وأسكنهم في غير كبر ، وأبلغهم من غير تطويل ، وأحسنهم بشراً ، لا يهوله شيء من أمور الدنيا ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ، ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ، ولا يتورع من مطعم حلال ، ويلبس ما وجد ، ويركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً ، يعود المرضى في أقصى المدينة ، يحب الطيب ويكره الروائح الرديئة ، ويجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ، ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، ولا يجفو أحداً ، يقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويضحك من غير قهقهة ، وترفع الأصوات عليه فيصبر ، وما لعن امرأة ولا خادماً ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله.

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه حيث ما انتهى به المجلس جلس فيه ، وأكثر ما يجلس مستقبل القبلة.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته ، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

www.ketab.ir

وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاءً، وكان أرأف الناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس ، أفصح الناس منطقاً وأحلاهم ، وأوجز الناس كلاماً ، يجمع كل ما أراد مع الإيجاز ، يتكلم بجوامع الكلم ، طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ، ولا يقول المنكر ولا يقول في الغضب والرضا إلا الحق.

وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي ، ولا يأكل الحار ، ويأكل مما يليه ، ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ، ويأكل خبز الشعير غير منخول ، وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ، وما ذم طعاماً قط ولكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه ، وكان يلعق الصحفة فيقول : آخر الطعام أكثر بركة . ويلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر ، وكانت ثيابه كلها مشمراً فوق الكعبين.

وكان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة ، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن ، يعرف في وجهه غضبه ورضاه.

وكان ﷺ أجود الناس وأسخاهم كفاً ، وأوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه وما سئل عن شيء على الإسلام قط إلا أعطاه.

وقال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً.

وقال أيضاً : كنا إذا حمي البأس ولقي العدو القوم اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

وكان ﷺ أشد الناس تواضعاً في علو منصبه ، يسترذف ، ويعود المريض ، ويتبع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويخصف النعل ويرقع الثوب ، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك ، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم.

www.ketab.ir

وأُتي ﷺ برجل فارعد من هيبته ، فقال : هوّن عليك فلست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم ، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه ، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً ، فبنوا له دكاناً من طين ، فكان يجلس عليه.

وكان لا يدعوه أحد إلا قال : لبيك . وكان إذا جلس مع الناس إن تحدثوا في معنى الآخرة أخذ معهم ، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم ، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم . صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

الفصل الثاني : في معنى الخلق وكيفية تهذيبه :

الخُلق ـ بالضم ـ عبارة عن الصورة الباطنة ، كما أن الخَلق ـ بالفتح ـ عبارة عن الصورة الظاهرة . يقال : «فلان حسن الخلق والخلق» أي الظاهر والباطن ، ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة :

فالخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالاً جميلة محمودة عقلاً وممدوحة شرعاً سميت تلك الهيئة «خلقاً حسناً» ، وإن كان الصادر منها أفعالاً قبيحة سميت «خلقاً سيئاً».

وإنما اشترط فيها الرسوخ لأن من يصدر عنه بذل المال مثلاً على الندرة لحاجة عارضة لا يقال «خلقه السخاء» ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

وإنما شرطنا السهولة لأن من يكلف بذل المال لا يقال «خلقه السخاء» .

وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع آخر ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل

لباعث أو رياء ، ولا عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الضدين واحدة ، ولا عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد ، بل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ، فكذلك لا بد في الباطن من أربعة لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق ، وهي : قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث :

أما قوة العلم : فحسنها وصلاحها من أن تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال ، وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة التي هي رأس الأخلاق الحسنة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».

وأما قوة الغضب والشهوة : فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين.

وأما قوة العدل : فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع ، فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لإشارته ، والغضب والشهوة تنفذ فيهما الإشارة.

ومثال الغضب مثال كلب الصيد ، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس ، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد ، فإنها تارة تكون مروضاً مؤدباً وتارة تكون جموحاً ، فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة ، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض.

وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة ، فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمي ذلك تهوراً ، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمي ذلك جبناً وخوراً، وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرهاً ، وإن مالت الى النقصان سمي خموداً .

والمحمود هو الوسط ، وهو العدل والفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان ، والعدل إذا فات فليس له طرفان بزيادة ونقصان ، بل له ضد واحد وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خَبّاً وجربزة ، ويسمى تفريطها بلهاً، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة .

فإذاً أمهات الأخلاق الحسنة والجميلة وأصولها أربعة : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة والعدل.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربعة إلا رسول الله ﷺ ، ولهذا أثنى الله عليه قائلاً : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

والناس بعده يتفاوتون في القرب والبعد ، فينبغي أن يقتدى به ، فإنه ﷺ قال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ .

فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين ، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة ، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة ، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال ، وقد وصف الله تعالى به قوماً فقال : ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ، إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً ، وليس الكمال بالشدة في كل حال ولا في الرحمة بكل حال.

www.ketab.ir

الفصل الثالث :

قد زعم قوم من القاصرين البطالين أنه لا يمكن تغيير الأخلاق وتهذيبها لأمرين :

أحدهما : إن الخُلق صورة الباطن كما ان الخَلق صورة الظاهر ، وكما لا يمكن تغيير صورة الظاهر فكذا لا يمكن تغيير صورة الباطن.

وثانيهما : إن حسن الخلق إنما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها ، وهذا أمر ممتنع والاشتغال به تضييع عمر بلا فائدة ، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة ، وهو محال.

ويقال لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون حديثاً : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات الشرعية ، ولما حث الشارع على تحسين الأخلاق وإنكار حصول هذا المعنى في حق الإنسان مع الاعتراف بوقوعه في البهائم ومشاهدة ذلك بالوجدان أمر غريب ، فإنا نجد انتقال الصيد من التوحش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل من الصيد إلى التأدب ، والفرس من الجماح إلى السلامة والانقياد. وكل ذلك تغيير للأخلاق.

وتحقيق الجواب : إن الموجودات منها ما لا مدخل للإنسان في تغييره وتبديله كما لا مدخل له في أصله ، كالسماء والكواكب وأعضاء البدن ونحوهما مما وقع الفراغ من وجوده وكماله ، ومنها ما وجد وجوداً ناقصاً ونيط به قوة قبول الكمال باختيار الإنسان وسعيه ، كالشواة تكون نخلاً وتفاحاً ، والأخلاق من قبيل القسم الثاني.

والجواب عن الثاني أن الإنسان غير مكلف بقلع قوة الغضب والشهوة بالكلية ، كيف ولو قمعت شهوة الأكل والوقاع لهلك الإنسان وانقطع النسل ولو قمع الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ويهلك ، بل المطلوب ردهما إلى الاعتدال والانقياد إلى العقل والشرع ، كما تقدمت الإشارة إليه ويأتي تفصيله.

والأنبياء الذين هم سادات المجاهدين لم يخلوا من الغضب والشهوة ، وقد مدح الله قوماً بقوله : «والكاظمين الغيظ» ولم يقل والفاقدين الغيظ ، وذلك أمر ممكن ، وكفى بالوجدان غنىً عن البيان .

والطريق إلى تحصيل الأخلاق الحسنة حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب ، كأن يتعاطى البخيل البذل والمتكبر التواضع حتى يصير ذلك خلقاً وطبعاً ، حتى ينتهي إلى التلذذ بذلك الفعل ، كما قال ﷺ : «جعلت قرة عيني في الصلاة» .

وكلما طال العمر وكثرت تلك الأعمال والعبادات حصل الرسوخ والكمال في النفس ، وهذا هو السر في طلب الأنبياء طول العمر .

وربما كان حسن الخلق بجود إلهي وكمال فطري ، بأن يولد كامل العقل حسن الخلق ، قد كفي سلطان الشهوة والغضب . قال الصادق عليه السلام : إن الخلق منحة يمنحها الله خلقه ، فمنه سجية ومنه نية . فقلت : فأيهما أفضل ؟ فقال : إن صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً ، فهو أفضلهما .

www.ketab.ir

فهرست الكتاب

الموضوع ..... الصفحة
المقدمة ترجمة المؤلف، مشائخه، تلامذته، مصنفاته، كراماته، أقوال العلماء فيه ٥
حسن الخلق وأثره، ونفحة من أخلاق النبي ﷺ وسيرته الكريمة وشمائله الفاضلة ٢١
كيفية تهذيب الأخلاق والآيات القرآنية في ذلك، مكانة الأخلاق في الإسلام ٢٥
الإخلاص في العمل أساس النجاح، وحسن النية أول الإيمان، والفضائل مقياس المسلم ٣٣
تطهير الباطن قبل تطهير الظاهر، الإنسان أفكاره وآراؤه لا صورته وأعضاؤه . ٣٩
فضل السواك وأثره على الصحة وموقف الإسلام من ذلك، والحياة هي الإسلام، والإسلام هو الحياة ٤١
أسرار تشريع الوضوء والغسل والتيمم، وأثر الطهارة في الإسلام ٤٤
في الأذان وإحضار القلب ولباس الصلاة للمصلين وما يتبع ذلك من واجبات .. ٤٦
أركان الصلاة وأحوالها وشرائطها وآدابها وفلسفة تشريعها ٥٠
الحكمة من صلاة الجمعة والعيدين والآيات، وفلسفة هذه الإجتماعات ٦٧
فضل القرآن وآداب التلاوة والتدبر في معانيه والتفكر في أساليبه ٧١

www.ketab.ir

آداب الدعاء وأثر ذلك على النفس وهدوئها والراحة الفكرية والجسدية .. ٧٦
دعامة الزكاة وأثرها في المجتمع وتنمية المال، وبالزكاة نظام المجتمع .. ٧٨
أسرار الصوم وآدابه والحكمة من تشريعه وأقسامه ٨٣
فلسفة الحج وأثر زيارة المشاهد المشرفة والعتبات المقدسة ٨٧
آداب الحج والاعتبار بذلك في جميع الأركان وفلسفة رمي الجمار ٨٨
آداب الجوارح نحو الله. رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام ٩٧
آداب المجالسة والمعاشرة وحقوق الناس العامة والخاصة وتأسيس الروابط
الودية بين أفراد المجتمع ١٠٥
دعوة الإسلام للإلفة والوئام وربط الأمة برباط الحب والإخاء ١٠٨
حقوق الأصدقاء والأخلاء وآداب أهل البيت بذلك وسيرتهم مع أصحابهم ١١٢
مراتب الصداقة وحقوق الصحبة وسرد أمثلة لذلك وشواهد ١١٤
حقوق المسلم والمؤمن وتقسيم ذلك وبيان واف لمعرفة ذلك ١١٧
نموذج من أخلاق أهل البيت وسيرتهم مع الإخوان الجلساء ١٢٦
قصص وشواهد على سمو أدبهم وأخلاقهم ومراعاتهم لحقوق الصحبة . ١٣٢
حقوق الجار وآداب الجوار والإستدلال بسيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة ١٣٥
حقوق الأقارب والرحم وما يلزم المسلم حتى مع غير المسلم ١٣٧
حقوق الوالد والولد ونظرة ازسلام العادلة في تبادل الحقوق بين الآباء
والأبناء ١٣٩
الإسلام يضمن حق المملوك ويعتبره مساوٍ لغيره في الحقوق ١٤٢
الحقوق الزوجية وآداب المعاشرة وواجب كل منهما تجاه الآخر ١٤٤
موقف الإسلام من العزلة والمخالطة وإتخاذ المعارف وتحقيق في ذلك . ١٤٥
مضار الإسترسال في الشهوات وذم البطنة والشره ١٥١
الغريزة الجنسية والشهوة الحيوانية ومضار الإفراط ١٥٥

www.ketab.ir

حفظ اللسان والحذر من إطلاقه ووصايا أهل البيت بذلك ١٥٧
آفات اللسان وتعدادها، النميمة والغيبة ونظائرهما من سوء الأخلاق ١٥٩
مضار الغضب وسوء مغيبة ووخامة عاقبته وما ينتج من أضرار ١٧٢
الغضب، محاسنه ومساؤه، علاجه ١٧٤
الحقد ومساؤه، منابعه وآثاره أقوال الحكماء والأئمة المعصومون ١٧٧
الحسد وتعريفه، أثره في المجتمع، الدواء الناجع لمكافحته ١٨٠
الرياء في الأعمال، حملة الإسلام ضد المرائين، الآيات والأخبار في التحذير منه ١٨٦
تحديد الرياء والسمعة، أقسام الرياء والتحذير من جليّه وخفيه ١٨٨
أقوال الفلاسفة في درجات الرياء وأنواعه ١٩٠
سبب الرياء، علاجه ١٩٣
العجب والفرق بينه وبين الإدلال، ما ورد في ذمه، تفصيل البحث ١٩٥
التكبر وتعريفه، مساوؤه، أنواعه، كيف يختبر الإنسان نفسه ٢٠١
تعريف الدنيا والآخرة، الدنيا المذمومة والممدوحة ٢٠٩
ما ورد في ذم الدنيا، ما ورد عن الأنبياء والحكماء فيها ٢١٢
المال خير أم شر، موقف الإسلام من المال وتحقيق لطيف ٢١٧
ما هو الفقر، وهل هو خير أم شر، بحث علمي ٢٢٠
تعريف الجاه وحبه وعلاج حب الجاه، حب الثناء ٢٢٢
الغرور، تعريفه، أقسام المغرورين، جهات الغرور ٢٢٨
التوبة وفضلها، حقيقتها، فلسفتها، المبادرة إلى تحقيقها ٢٤١
متى تصغر الكبائر وتكبر الصغائر ٢٥٠
تجزئة التوبة، أقسام العباد فيها، طرق التوبة ٢٥٣
الصبر وأقسامه، الآيات والأخبار فيه، شواهد من أحوال الأنبياء ٢٥٨

www.ketab.ir

علاج الصبر، كلام الحكماء والعظماء في فضله ٢٦٤
الرضا بالقضاء. شواهد من القرآن والأحاديث ٢٦٥
شكر النعم، حده وحقيقته، ما هو الشكر لله ٢٦٩
الطريق إلى شكر الله، من لم يشكر الخالق لم يشكر المخلوق ٢٧٣
تعادل الرجاء والخوف، تعريف ذلك، وكلام الفلاسفة ٢٧٦
تعريف الزهد، حقيقته، أقسامه ومراتبه ٢٩٠
محبة الله تعالىٰ والأنس بذلك، حقيقة الحب، والشواهد على ذلك ٢٩٦
معنى حب الله لعبده، الطريق إلى حب الله، بحث عرفاني ٣٠٢
تعريف اليقين، مراتب اليقين ودرجاته ٣٠٤
التوكل وفضله، حقيقته، درجات التوكل ٣٠٩
الصدق والأمانة أساس النجاح في الفرد والمجتمع ٣١٦
مراقبة النفس ومحاسبتها، السعي على يقظتها ٣٢٠
التفكر والتدبر وأثرهما على الإنسان ٣٢٥
رهبة الموت، الاستعداد للموت، الحذر من مفاجأة الموت ٣٢٧
طول الأمل مبعث الشرور والغرور ٣٣٠
الفهرس ٢٣٣

www.ketab.ir